Information Sciences Letters
An International Journal

http://dx.doi.org/10.18576/isl/121131

Social life in Andalusia and Morocco as depicted by Al-Maqhamate Al-Lozumiyeh by Al-Saraqusti's

Nawal A. M. Al-Shawabkeh[1,] and Hedaya H. M. Al-Razooq[2]*

[1]Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan
[2]United States Agency for International Development, Amman, Jordan

Received: 14 Sep. 2023, Revised: 21 Oct. 2023, Accepted: 28 Oct. 2023
Published online:1 Nov. 2023.

Abstract: This research covers Al-Saraqusti's Maqamat (as an Andalusian heritage blog) and seeks to identify the image of society through the Maqamat. The importance of this research lies in the richness of the Maqamat, as they are not stories for humor or enjoyment, but rather they are texts distinguished by sophistication and professionalism, and a cultural, historical and intellectual asset that Al-Saraqusti demonstrated within the framework of the Maqamat, granting them the power of etymology and renewal. The research focused on the image of Andalusian society through Al Maqamat Al-luzumiyah. The study included several sections; First: the classes of Andalusian society, second: complaining about time and the cruelty of life, third: amusement and obscenity, fourth: fraud, medical quackery, purchase and sale, fifth: love and flirtation, sixth: foods and beverages, seventh: clothing and ornaments, and eighth: religious manifestations, and it has adopted the social approach because it is the most appropriate approach in portraying society, as well as the descriptive analytical approach in analyzing texts for Maqamat. The research has concluded with a number of results, concluding, the Maqamat have reflected many images of society that highlight societal injustice, which is represented by two different classes; One is wealthy and the other is poor and struggling to make a living in a various way. It also depicted the naivety of some groups related to spells and illusions, described an aspect of Berber life and customs, and depicted the beloved woman who helps the man in tricks in order to obtain money, opposite to the life of asceticism, as a result of the corruption of society and its several flaws. It represented the simulation of the crisis reality in an enlightening manner through demonstrating the two opposites together, controlling the critical approach for each group and social phenomenon.

Keywords: Al-Maqhamate, Al-Saraqusti's, Andalusian Society, Social Approach.

*Corresponding author e-mail: Nawal711_2007@yahoo.com

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب كما تصورها المقامات اللزومية للسرقسطي

نوال عبد الرحمن الشوابكة [1], هداية حسن مصطفى الرزوق [2].

[1] قسم اللغة العربة وآدابها – كلية الآداب -الجامعة الأردن – عمان -الأردن.
[2] الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، عمان، الأردن.

ملخص الدراسة: يتناول هذا البحث مقامات السّرقسطي (كمدونة تراثية أندلسية)، وتسعى إلى التعرف على صورة المجتمع من خلال المقامات، وتكمن أهمية هذا البحث في ثراء المقامات، فهي ليست قصص للفكاهة أو الإمتاع، بل هي نصوص امتازت بالتكلف والصنعة، ورصيد ثقافي وتاريخي وفكري بثه السرقسطي في إطار المقامات، ومنحها قوة التأصيل والتجديد، وقد ركز البحث على صورة المجتمع الأندلسي من خلال المقامات اللزومية. وجاءت الدراسة على عدة مباحث، الأول: طبقات المجتمع الأندلسي، والثاني: الشكوى من الدهر وقسوة الحياة، والثالث: اللهو والمجون، والرابع: الاحتيال والدجل الطبي والبيع والشراء، والخامس: الحب والغزل، والسادس: الأطعمة والأشربة، والسابع: اللباس والزينة، والثامن: المظاهر الدينية. وقد اعتمدت المنهج الاجتماعي؛ لكونه أنسب المناهج في تصوير المجتمع، والمنهج التحليلي الوصفي في تحليل النصوص للمقامات، وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج منها: أنّ المقامات قد عكست الكثير من صور المجتمع التي تُبرز الظلم المجتمعي، الذي تمثّل في طبقتين مختلفتين؛ إحداهما مترفة والأخرى فقيرة تعاني في كسبها للعيش بشتّى الطرق، كما صورت سذاجة بعض الفئات المتعلقة بالتعاويذ والأوهام، ووصفت جانبا من حياة البربر وعاداتهم، وصورت المرأة المحبوبة التي تساعد الرجل في الخدع من أجل الحصول على المال، وفي المقابل حياة الزهد والدعوة إليه؛ لفساد المجتمع وكثرة عواره، فمثلت المحاكاة للواقع المأزوم بصورة تبصيرية تنويرية من خلال الضدين معًا، متحكمًا فيها المنهج النقدي لكلّ فئة وظاهرة اجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المقامات، السرقسطي، المجتمع الأندلسي، المنهج الاجتماعي.

مقدمة:

انتشرت المقامات في الأدب الأندلسيّ نتيجة منافسة الأندلسيّين أهل المشرق الّذين سبقوهم إليها، ولم تقف حدود الأندلسيّين عند معارضة تلك المقامات والاكتفاء بمعالجة موضوعاتها، بل انعكست على شتّى نواحي حياتهم، وتبوّأت مظاهر الحياة الاجتماعيّة في مقاماتهم منزلةً كبيرةً وحظيت باهتمامٍ شديد. ويستطيع الدّارس لتلك المقامات أن يشكّلَ صورةً واضحة حول معالم المجتمع الأندلسيّ، وهذا ما جعل الباحثين ينطلقون لدراسة تلك المقامات، كلٌّ من وجهة نظره، فأبدَوْا آراءً تتّفق أحيانًا وتفترق أحيانًا أخرى.

ولاحظنا أنّ مقامات السّرقسطيّ على وجه الخصوص، لم تحظ بدراسة وافيةٍ للوقوف على انعكاسات المجتمع الأندلسيّ فيها، وتلك قضيّة جديرة بالاهتمام؛ لأنَّ المقامات إفرازٌ اجتماعيٌّ فنّيّ، ودليلٌ من أقوى الأدلّة على طبيعة المجتمع وعَلاقات أفراده، ما يكسبها أهميّة مجتمعيّةً تقتضي تحليل نصوصها الأدبيّة الثّريّة الّتي شهدت ذيوعًا واسعًا، وانتشارًا وصل إلى بقاع مختلفة من العالم العربيّ، وتجاوزه إلى عالم الأعاجم من خلال البلاط الأندلسيّ الأدبيّ.

أهميّة البحث:

إنّ هذا البحث يُعدَّ من الأهميّة بمكان للأسباب الآتية:

أوّلاً: ما نالته مقامات السّرقسطيّ من شهرة عالية واستحسان كبير لدى الأدباء والنُّقاد في زمانها.

ثانيًا: أنَّ في مقامات السّرقسطيّ آثارَ المقامات الشّرقيّة، وملامحَ تجديدٍ امتازت بها وأعطتها شخصيّتها المستقلّة عن المقامات الشّرقيّة، فهي مقاماتٌ اختلفت عن مقامات المشرقيّين في كثير من المضامين والأغراض المُعالَجة، وفي طريقة تناولها للقضايا الاجتماعيّة.

ثالثًا: المكانة الأدبيّة الرّفيعة والعالية الّتي تبوّأها السّرقسطيّ في زمنه.

رابعًا: وجدنا أنَّ دراسة هذه المقامات مستحقّة؛ لأنّ السّابقين إلى دراستها لم يتطرّقوا إلى الكثير من القضايا الّتي سيتمّ طرحها في هذا البحثّ، مثل: صورة الحياة في المجتمع الأندلسيّ كالعادات والتّقاليد، وصورة المرأة، من خلال الحديث عن الحبّ والغزل، وغير ذلك.

خامسًا: القيمة الأدبيّة الرّفيعة الّتي تحملها مقامات السّرقسطيّ.

سادسًا: كثرة مقامات السّرقسطيّ؛ إذ تجاوزت خمسين مقامةً وتنوّعت أغراضها، فتحدّثت عن عدّة مجتمعات في أماكن متعدّدة.

إشكاليّة البحث:

من المعلوم أنّ المقامات ذات تاريخ أدبيّ عريق، ولمّا كشفت مقامات السّرقسطيّ النّقابَ عن مظاهر الحياة في المجتمع الأندلسيّ القادمة منه، ظهرت هذه الأسئلة الّتي تحتاج إلى إجابات مقنعة:

ما هي مكانة مقامات السّرقسطيّ ضمن المقامات الأندلسيّة عامّة، وما منزلتها منها على جهتي العموم والخصوص؟

- هل تكشف مقامات السّرقسطيّ بجلاء عن وجه المجتمع الحقيقيّ الّذي جاءت منه؟
- هل تكشف مقامات السّرقسطيّ عن صور الحياة الاجتماعية بجلاء، خصوصًا فيما يتعلّق بالعادات والتّقاليد، ومظاهر الحياة الدّينيّة، ووجود المرأة في المقامات ذاتها، والملابس والزّينة وطبيعتها آنذاك، وكذلك الأطعمة والمشروبات المنتشرة في تلك الحقبة؟

تستطيع هذه الدّراسة أن تعطيَ صورة عن المجتمع قريبةً من الحقيقة؛ لأنَّ المقامات كانت الأكثر التصاقًا بطبقات المجتمع الأندلسيّ من بقيّة الفنون الأدبيّة الأخرى، لِما فيها من سرد مُشوّق وقصص لطيفة تخلّلت بناء أحداثها، لا سيّما عند التحدّث عن الطّبقة الفقيرة.

منهجيّة البحثّ:

تعتمد الدّراسة على المنهج الاجتماعيّ المتناسب مع طبيعة المقامات الّتي تُعنى بتصوير المجتمع، والتّعبير عن ثقافته والذّوق الأدبيّ العامّ فيه، واتّكأت الدّراسة أيضًا على المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ بغيةَ تحليل بعض نصوص المقامات الّتي تناولتها الدّراسة وفق ما اقتضته طبيعة البحث، مع الرّجوع إلى

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

المصادر الأصيلة في البحث والدّراسة.

الدّراسات السّابقة:

ثمّة دراسات تناولت المقامات اللّزوميّة من قبل، وبعض الظّواهر الفنّيّة والموضوعيّة فيها، كان من أبرزها:

- الدّراسة الأولى: دراسة بعنوان (المقامات اللّزوميّة: دراسة نصيّة)، وهي رسالة ماجستير، في كليّة الآداب جامعة مؤتة، قسم اللّغة العربيّة، عام 2003، من إعداد فاطمة الرّواشدة، وتناولت الباحثة فيها المقامات على وَفْق حقول علم السّرد ومعطياته؛ فبعد أن عرَّفَتْ بمكوّنات النّصّ المقاميّ تطرّقَتْ إلى تِقنيات السّرد؛ كالزّمان، والمكان، والشّخوص، والعُقدَة، والحلّ، والرّاوي، وصيغ الخطاب، وخلُصَتْ إلى أنّ هذه المكوّنات أكسبت النّصوص المقاميّة هُويّة سرديّة، فضلاً عن كونها جنساً أدبيّاً مستقلًّا بذاته له خصائصه الّتي تميّزه عن أيّ فنّ أدبيّ آخر.

- الدّراسة الثّانية: دراسة بعنوان (صورة المجتمع الأندلسيّ في المقامات اللّزوميّة للسرقسطيّ)، وهي رسالة ماجستير، للطّالب محمّد السّيّد أحمد حسن، ماجستير في الأدب العربيّ والنّقد الأدبيّ كلية اللّغات، بجامعة المدينة العالميّة، بدولة ماليزيا، عام 2019، وفيها بدأ الباحثُ رسالته بالحديث عن المقامات الأندلسيّة من حيث الدّلالات الاجتماعيّة، ثمّ التّصوير الفنّيّ للمجتمع، وتحدّث عن إرهاصات القصّة القصيرة في المقامات اللّزوميّة، وفي الفصل الأوّل ناقش المصطلح اللّغويّ للمقامات، لكنّه أطال الحديث في هذا الفصل، وفي الفصل الثّاني تحدّث عن مفهوم المنهج الاجتماعيّ في الدّراسات الأدبيّة والتّناقض السّلوكيّ في المجتمع الأندلسيّ، وفي الفصل الثّالث أجرى تحليلًا لأداء السّرقسطيّ في مقاماته اللّزوميّة من المنظور الاجتماعيّ وعلاقة هذا الأداء بجذور المدرسة الواقعيّة في الفنّ، وجذور فنّ القصّة في الأدب العربيّ.

- الدّراسة الثّالثة: دراسة بعنوان (صورة المجتمع في المقامات الأندلسيّة) وهي رسالة دكتوراه، في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة قسم اللّغة العربيّة، في جامعة دمشق، عام 2016، إعداد الطّالبة جمانة إبراهيم داود، وفيها وصفٌ عامّ لحياة الأندلس عامّة، والحياة الثّقافيّة خاصّة، والحديث عن المقامات، وأنواع المقامات الأندلسيّة وأغراضها، وتناوَلَت الباحثة صور المجتمع في المقامات الأندلسيّة، والخصائص الفنّيّة في المقامات الأندلسيّة، وقد مثّلت بنماذج قليلة من المقامات اللّزوميّة للسّرقسطيّ.

- الدّراسة الرّابعة: دراسة بعنوان (توظيف الموروث في المقامات اللّزوميّة للسّرقسطيّ) وهي رسالة ماجستير من إعداد عمر محمد ياسر الفريحات، في اللّغة العربيّة وآدابها، عمادة البحث العلّميّ والدّراسات العليا، جامعة فيلادلفيا، الفصل الدّراسيّ الثّاني، عام 2018-2019، وقد تناول الباحث في هذه الدّراسة: التّعريف بالمقامات اللّزوميّة، والتّعريف بالمقامات، والتّعريف بالموروث، وفي الفصل الأوّل تناول توظيف الموروث الدّينيّ، وتوظيف النّصّ القرآنيّ، وتوظيف الحديث النّبويّ الشّريف، وفي الفصل الثّاني توظيف الموروث الأدبيّ، وتوظيف الشّعر العربيّ، وتوظيف الأمثال العربيّة، وتوظيف الشّخصيّات الأدبيّة والتّراثيّة، وخلُص الباحث إلى أنّ المقامات تحمل بداخلها عدّة موروثات تقوم عليها، تتمثّل في القرآن الكريم، والحديث النّبويّ الشّريف، وأشعار العرب وأمثالها، غير أنّ هذه الدراسات لم تستقص مظاهر الحياة الاجتماعيّة في المجتمع الأندلسيّ، في جوانبها المختلفة، التي عكستها المقامات اللزوميّة.

خطّة الدّراسة:

يتكوّن البحثّ من مقدّمة تطرحُ أهميّةَ الموضوع وخطّته ومنهج البحث فيه، ومدخل فيه: بين يدي مقامات السّرقسطيّ، وتليه ثمانيةُ مباحث هي:

المبحث الأوّل: طبقات المجتمع الأندلسيّ

المبحث الثّاني: الشّكوى من الدّهر وقسوة الحياة

المبحث الثّالث: اللّهو والمجون

المبحث الرّابع: الاحتيال والدَّجَل الطّبّيّ والبيع والشّراء

المبحث الخامس: الحب والغزل

ـ المرأة الحبيبة والجارية

ـ الغزل بالمذكّر

المبحث السّادس: الأطعمة والأشربة

المبحث السّابع: اللّباس والزّينة

المبحث الثّامن: المظاهر الدّينية

ـ القضاة

ـ الزّهّاد والوعّاظ

ـ التوبة والمتردد فيها

ثمّ تأتي الخاتمة لاستعراضِ أهمّ النّتائج والأفكار، تليها قائمةُ المصادر والمراجع.

مدخل: بين يدي مقامات السّرقسطيّ

ظهرت المقامات في المشرق الإسلاميّ في القرن الرّابع الهجريّ بصفتها نوعًا أدبيًّا جديدًا قصد مبتدعوه التّصنّع والتّأنيق، وبرع فيها كثير من الكُتّاب منهم: بديع الزّمان الهمذانيّ، والحريريّ. وتضمُّ المقامات حكايات ونوادر، ولا تخلو من جوانب أدبيّة وحكميّة وتاريخيّة واجتماعيّة وسياسيّة، ولعلّ مبدعَ هذا النّوع الأدبيّ هو بديع الزّمان الهمذانيّ، إذ لم تُؤثَر عن العرب مقامات سابقة لمقاماته، ويبدو أنّه اشتقّها من جهد قصصيّ سابق أسّس له ابنُ دريد. [1].

وتأثّر الأندلسيّون في المغرب الإسلاميّ بالمقامات كتأثّرهم بما أنتجه أدباء المشرق عمومًا مِن شعر ونثر، وكانت مقامات الحريريّ الأكثر تأثيرًا، وقد ظهرت

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

في مطلع عهد المرابطين، ويخبرنا ابن الأبّار أنّ العديد من الأندلسيّين سمعوا الحريريّ يبسط مقاماته في حديقته ببغداد[2]. وشاعت المقامات في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، فنُقلت ودُرّسَت، وأُنشِئت عليها تعليقات مختلفة ومتنوّعة.

تعريف المقامات

المقامات في اللُّغة جمع مقامة، وهي المجلس، ومقامات النّاس: مجالسهم،[3] والمقامة في الأدب: هي"أقاصيص خياليّة مختلفة الأغراض والموضوعات، فمنها الأدبيّة ،ومنها العلميّة، ومنها الدينيّة، ومنها الاجتماعيّة، أو الخلقيّة، ومنها المجونيّة[4]، وقال الشّريشيّ: المقامات المجالس، واحدها مقامة؛ والحديث يُجتمع له ويُجلَسُ لاستماعه يُسَمّى مقامةً ومجلسًا؛ لأنّ المستمعين للمُحدِّث ما بين قائم وجالس، ولأنَّ المُحَدِّثَ يقوم ببعضه تارّة ويجلس ببعضه أخرى، وقال الأعلم: المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضُّ على فعل الخير، وهي من الفنون النّثريّة الّتي يُبالِغُ الكاتب فيها بالاهتمام باللّفظ والأناقة اللّغويّة، بحيث تتعدّى الشّعر في احتوائها على المُحسِّنات اللّفظيّة[5].

السّرقسطيّ:

السّرقسطيّ هو: أبو الطّاهر محمّد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التّميميّ السّرقسطيّ اشتركويه، المولود بسرقسطة، والمُتوفّى سنة 538هـ، كان وزيرًا من الكتّاب الأدباء وشاعرًا، عاش متنقلًا بين أمصار الأندلس، ومن علماء العربيّة في زمانه، وتُعدُّ مقاماته اللّزوميّة أشهر أعماله. [6] ويرى د. شوقي ضيف أنَّ المقامات اللّزوميّة أروع آثار السّرقسطيّ، وأروعُ ما قدَّمت الأندلس للأدب العربيّ من أعمال أدبيّة. [7]

المقامات اللّزوميّة للسّرقسطيّ:

من المعلوم أنَّ أهل المغرب كانوا يحاكون أهل المشرق، وأحيانًا كانوا يخالفونهم حتّى تَظهَرَ الصّفات الخاصّةُ بهم عن أهل المشرق، ومن أبرز المقاميّين الأندلسيّين الّذين حذَوْا حذو الحريريّ في مقاماته السّرقسطيُّ صاحب المقامات اللّزومية، الّتي ألّفها في القرن السّادس الهجريّ [8].

وحفظت المقامات اللّزوميّة لنا أشعارًا كثيرة للسّرقسطيّ، وحملت قيمةً فنيّةً وثقافيّةً وتاريخية؛ إذ كانت مجالًا تعايشَ فيه كلٌّ مِنَ الشّعر والنّثر بانسجام وتضافر أثناء تناول الأفكار والصّور والرّؤى والعواطف، دون أن نلمس تنافرًا بينهما، وطوّعهما المقاميّون تطويعًا عجيبًا، وجعلوهما تِّدَيْن مُتسالِمَين [9].

وعارض السّرقسطيّ في لزوميّاته الخمسين مقاماتِ الحريريّ، إذ يقول المحقّق الوراكليّ في مقدّمته: "هذه خمسون مقامة أنشأها أبو الطّاهر محمّد بن يوسف التّميميّ السّرقسطيّ بقرطبة من مدن الأندلس عند وقوفه على ما أنشأه الرّئيس أبو محمّد الحريريّ بالبصرة، وأتعبَ فيها خاطره، ولزم في نثرها ونظمها ما لا يلزم، فجاءت على غاية من الجَوْدة".[7] وحقّق الدكتور حسن الوراكليّ المقامات اللّزومية سنة 1400هـ 1980م، ثمّ نُشرت مرّة أخرى بتحقيق الدّكتور بدر أحمد ضيف سنة 1982م.

ومع أنَّ مقامات السّرقسطيّ قد سار فيها صاحبها على نهج مقامات الحريريّ، غير أنّ لها خصائصها وسماتها التي تميّزها عن غيرها؛ فالسّرقسطيّ لم يحمل مثلًا لكلّ مقامة عنوانًا متميّزًا كما فعل بديع الزّمان والحريريّ، وسُمّيت بعضها باسم السَّجع الّذي غلب عليها، من ذلك تسمية المقامة السّادسة عشرة بالمقامة المُثلّثة، والسّابعة عشرة بالمُرَصّعة، والثّامنة عشرة بالمُدبَّجة، وحَملت بعض المقامات عناوين مُنبِّهة على موضوعها: البحريّة، والنّجوميّة، والحمقاء، ومقامة الشّعراء، ومقامة الدّبّ، والفَرَسيّة، والحَمامِيّة، والعنقاويّة، والأَسَديّة. واستخدم السّرقسطيّ في المقامات الثانية والثلاثين، والأربعين، نمطًا خاصًّا من السَّجع، فرتّبها حسب النّظام الأبجديّ، ولهذا السّبب نراها تحمل أسماءً بحسب حرف القافية فيها، مثل: الهمزيّة، والبائيّة، والجيميّة، والدّاليّة، والنّونيّة. [11] [10].

ويظهر في المقامات اللّزوميّة كثير من الشّخصيّات الثّانويّة، وأبطال هذه المقامات هم: السّائب ابن تمّام، ويُعرف كذلك باسم أبي الغمر، وأبو حبيب، وهو عجوز ماكرٌ مِن عُمان. والرّاوي المنذر بن هُمام، وولدا العجوز وهما: غريب وحبيب اللّذان يظهران من حين إلى حين. إنّ بطل مقامات السّرقسطيّ في تَرحال دائم يتقلّب من بلد إلى آخر ملتمسًا الرّزق، وعادة ما يذكُرُ المكان الّذي يحلّ فيه في بداية المقامة، وبعد أن يورد المقاميّ طريقة روايته يذكر المكان الذي حلّ به، فمثلًا يقول السّرقسطيّ: "فيومًا فارقَ جَرجانَ وذهب إلى أَرَجان، ومرّة أخرى ذهب إلى أرض حلوان حيث بقي لهفان" [7] ، ويُحدِّد مناطق أخرى قائلًا: "حتّى إذا كنت بذي المجاز من أرض الحجاز، عرض لي بين نجد وتهامة فتى يتلألأ وسامة... متقلّدًا للنّجاد".[7] ثمّ يقول في مقامة أخرى: "طرحتني طوارح الزّمن إلى أرض اليمن".[7] "وقد يحلّ دمياط، أو سنجار، أو ظفار، أو اليمامة".[7]

واتّسمت مقامات السّرقسطيّ بأنّها أشدّ صلابةً وتصنّعًا؛ للزومه في نظمها ونثرها ما لا يلزم، ولبحثه عن الفرادة والتّميّز فيها، ما دفعه إلى اتّباع عددٍ من الاستراتيجيّات الكتابيّة؛ منها ميله إلى استثمار خصوصيّات العجائبيّة في نصوصه المقاميّة، ولعلّ هذا من دواعي شهرة مقاماته وخلودها، فمن المعروف أنَّ كثيرًا من المدوّنات السّرديّة اكتسبت مكانة وخلودًا لما احتوته من مشاهد عجائبيّة، شأن "ألف ليلة وليلة، أو الأوديسة أو دون كيشوته"، وفي العصر الحديث تألّق: "بلزاك، وفلوبير، وموباسان"؛ لأنّهم كتبوا أحداثًا فوق الطّبيعة؛ فالعجائبيّة ميثاقٌ سرديّ بين الفاعل والمتلقّي، الفاعل تدعمه قدرات وإمكانات وتأثيرات فوق الطّبيعة، والمُتلقّي تُسلَب منه القدرة على التّأويل والتّفسير، ويعيش حالة من التّردّد، وهي الحالة الّتي تُوَسِّس لهذا النّمط من الكتابة، ومن ثَمّ تُكسِبُ الأثرَ الأدبيَّ خلودًا وتأثيرًا.

المبحث الأوّل: طبقات المجتمع الأندلسيّ

عكست موضوعات المقامات في الأندلس بصفة عامّة، ومقامات السّرقسطيّ بصفة خاصّة الواقع الاجتماعيّ الموجود في تلك الحقبة التّاريخيّة، وحملت نقدًا جارحًا للواقع الّذي رفضته وانتقدته وحاولت إصلاحه، حتّى بدت كأنّها ثورة عارمة على المجتمع [12].

فقد انتقدت المقامة الرابعة في المقامات اللّزوميّة ظهور طبقة المُتسوّلين، وانتشار ظاهرة الكدية، وفي (مقامات الدّبّ، والحَمامة، والقرديّة) ما يُظهر طرق الكدية، وأساليب الحِيل المختلفة في التي تفشت في مجتمع السرقسطيّ؛ فالشّيخ السّدوسيّ يُراقص القرد ويلاعبه؛ لجذب الانتباه إليه، مستغلًا القرد ليصل إلى هدفه، فيقول بعد أن شدَّ النّاس من حوله، وأرقص القرد وأتعبه[10] "أيّها النّاس، اللّهو ضروب، والكريم طروب، والأنس خلوب، والدّهر طلوب، والنّاس طالب ومطلوب، وإنّما هي نفوس وقلوب، تحادث بالصّقال، وتسرح من العقال، وهي الحاجة والفاقة، والدّهر شرّة وإفاقة، وصحبة ورفاقة، وقد تمتّعتم بهذه اللُّعب، وحظيتم بالرّاحة من غير تعب، وللضّيف حقوق، وترك البرّ عقوق".[7].

وبنظرة الأديب وبمثل هذهِ الكلمات يستمرّ الشّيخ السّدوسي في مخاطبة النّاس للوصول إلى النّقود الّتي هي مراده، ويستعمل حِيَلًا أخرى إلى جانب الحيلة السّابقة، مثل اتّخاذ عياله وأطفاله وسيلةً للكُديَة، فتراه يقول في المقامة نفسها: ووراءي أصيبية أطفال، ووراءهم من الصّون إغلاق وإقفال، يرتقبون كلّ قافل، ثمّ أنشأ يقول: [7]

لَوْلا أُطَيْفَالٌ كَزُغْبِ الْحَمَامْ مَا بُهْتُ بِالْعُدْمِ وَلَا بِالْحِمَامْ

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

وَلَا وَرَدْتُ الْمـــــــــــاءَ رَنْقًا وَلَا كَرِعْتُ إِلَّا فِي الْعِذابِ الْجِمامْ

الطَّرْفُ وَإِنْ يَهْمْ ظَالِـــــــــــعٌ وَكَانَ لَوْلَا الْعُدْمِ غَمْرَ الْجَمَامْ

وَاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صاحِبٍ إِلّاكَ يَـــا دِرْهَمُ وَافِي الذِّمَامْ

يقول يوسف عوض:" إنَّ مقامات السّرقسطيّ لم تقدم لنا صورًا من الحياة الأندلسيّة"[12].

ويبدو أنّ يوسف عوض قد فاته أنّ تطواف السّرقسطيّ بين البلدان هو من باب النّقد المخفيّ للمجتمع الأندلسيّ، وأنَّ السّرقسطيّ جعل أحداث مقاماته في مناطق متنوّعة مختلفة؛ فمقامته الثّالثة الّتي تحدّث فيها عن الأندلس، حملت نقدًا جارحًا لجانب من الحياة الأندلسيّة؛ إذ انتقد حياة المجون واللّهو فيها، وتناول السّرقسطيّ البدو مُصوّرًا طبائعهم كالجفاء وقسوة القلوب، فقال فيهم: "وما رأيت مثلكم أمّة جفت منها الطّباع وفضّلتها الوحوش والسّباع"[7].

وتتعدّد البلدان التي زارها بطل المقامة، وتتعدّد لذلك صور المجتمعات وطباع أهلها، ومن ذلك وصفه لأهل اليمن، فأحداث أربع مقامات من اللّزوميّات تدور في اليمن، ويصف خلالها السّرقسطيّ أعاجيب اليمن، فيقول عنها: إنّها أرض الكوارث وميدان الحوادث؛ إنّ روائعها وعجائبها تخدع الخادعين، ويقول عن شعبها:" إنّما أنتم أنواع وأجناس، منكم الجليل والحقير، والغني والفقير، والسفيه والحليم، والجهول والعليم... وإنّي فيكم لابن سبيل، وأخو حيّ وقبيل، لكن زوتني عنهم الأقدار، وتناءت بيني وبينهم الدار..." [7]

أمّا مشهد المقامة الخامسة والثلاثين فهو في زبيد: " حللت زبيد، وأنا أقود الخيل والعبيد، وأرفل في البرود، وأكرعُ من العيش في برود..". [7] وفي المقامة السّادسة كانت عدن بمينائها الّذي يضجّ بالتّجار والمسافرين، مكانًا طبيعيًّا ينجذب إليه بطل السّرقسطيّ، ويصور ما فيها من التعامل مع التّجار من البيع والشراء. [7]

ونقرأ في المقامة الخامسة عشرة حديثًا عن الزّاب وأهلها وصفاتهم وخصائصهم" حللت بالزّاب مُبعَد الأهل والأحزاب، فأقمت من أهلها بين قوم قد استولت عليهم البداوة، واستطارت بينهم العداوة، وفشت فيهم عنجهيّة الأعراب، وقسوة الصّعاليك والخُرّاب، فاعتزمت الخروج إلى بعض بلادها متفاديًا من مصاعبها وجلادها، فسرت من حيّ إلى حيّ، ومن رشد إلى غيّ، تلحفني الهواجر، وتبخل عليّ الحياض السّواجر".[7].

صوّرت المقامات السّرقسطيّة طبيعة التّركيبة الاجتماعيّة للمجتمع الأندلسيّ، وأظهرت المقامات أنّ المسافة في ذلك المجتمع تتّسع بين طبقتيه: طبقة سائدة غنيّة مرفّهة، وأخرى مَسودة فقيرة محرومة، فارتحال البطل المقاميّ من بلد إلى آخر كشف بجلاء عن تلك المسافة بين الطبقات" ما زلت أركب الدّهر حالًا بعد حال، من خِصبٍ وإمحالٍ، وحَلّ وترحالٍ، أتتبّعُ الرّزق وأستثيره، فيأبى عليّ قليله وكثيره، أقاربهُ فيُباعِدُ، ... وقد قيل:" جاور مَلِكًا أو بحرًا". [7]

وتحمل المقامات اللزوميّة نقدًا جارحًا لجوانب كثيرة في مجتمع السرقسطيّ؛ ففي المقامة الأولى تحدث عن المجتمع الأندلسيّ؛ وما فيه من الأمراض الاجتماعية والخلقيّة ؛حيث انتقد حياة اللهو والمجون " قد نبذوا الوقار، واستحلوا العقار".[7]، كما تناول السرقسطيّ في المقامة التاسعة والثلاثين، البدو مصوّرًا طبائعهم كالجفاء وقسوة القلب، فقال فيهم:" وما رأيت مثلكم أمّة جفت منها الطّباع وفضلتْها الوحوش والسّباع". [7]، وفي الحقيقة يكشف السّرقسطيّ في هذا النّصّ بإتقان وبحروف جميلة صورة عن أخلاق النّاس في مجتمعه متعدّد الطّبقات والفئات، ويقدم ملامح الواقع اليوميّ بما لديه من خبرة إنسانيّة.

المبحث الثّاني: الشكوى من الدهر وقسوة الحياة

يبدو أنَّ الواقع السّياسيّ الرّديء المليء بالانتكاسات، وما مرّت به بلاد الأندلس من سقوط دول الطوائف واستيلاء المرابطين عليها، كان له أثر في توجّه الأدباء عامّة وكُتّاب المقامات خاصّةً إلى التّذكير بالآخرة والتّرغيب في التّوبة، بوصف ذلك نتيجةً للشكوى من هذا الواقع الأليم وقسوة الحياة فيه، وقد كانت هذه الأخيرة من أكثر المعاني دورانًا على ألسنة الشّخصيّات في مقامات السّرقسطيّ، واستغلّ فيها الكاتب دواعي التّوبة وبواعثها الّتي تتمثّل في الواقع السّياسيّ المُتردّي، والتقدّم في السّنّ، والحاجة إلى الرّشد، والموت، ونار جهنّم، ولرغبة خاصّة لدى الكاتب في التّخلّص من عيوب المجتمع المؤذية، ورغبته في تخليص المجتمع ممّا وقع فيه من تحلّل خلقيّ ومعنويّ، يقول:... إلى كم يسُوّفك الأمل والرّجاء، ولا يشوّقك المَهل والرّجاء، والعمر قد انصلت انصلات السّابق، والشّباب قد انفلت انفلات الأبق، والغُرور يخادعك ويصاديك، والسّرور يوادعك وهو يُعاديك...ولا أنيس إلّا هديٌ راجح، ولا جليس إلّا سعيٌ ناجح، حتّى إذا هاجمك الحِمام المهاجم، وعاجمك الثّمام العاجم، أصبحت تقلّب طَرْفًا كليلًا، وتذبذب حرفًا عليلًا،... تتأسّف وأنّى لك الرّجعى والمتاب، وتتلهّف وهيهات منك الحسنى والإعتاب".[7] وهنا يظهرُ في عادات المجتمع زهدٌ وورعٌ انبثقا عن الكرب والضّيق في الجانب السّياسيّ للمجتمع، وعن الظّلم الواقع على أفراده.

فمن الظواهر الاجتماعيّة التي كان لها حضور في مقامات السّرقسطيّ ظاهرة الشّكوى من الزمان وما جلبه من المصائب والمحن؛ فإلى جانب التّعبير عن الذّات وهمومها، كثُرت الإشارات إلى الظّروف المتقلّبة الّتي مرّت ببلاد الأندلس والصّراع الدامي مع الممالك الإسبانيّة الّذي أدّى إلى شعور الأندلسيّ بالقلق على مستقبل هذه البلاد؛ ففي إحدى مقامات السّرقسطيّ يشكو بصوت حزين من قسوة الحياة وظلم المجتمع وفساده، وأخلاق النّاس الّذين اضطربت موازينهم وتغيّرت أحوالهم، يقول:"... حتّى رمتني الأيّام بخطوبها، وقابلتني بعبوسها وقطوبها، وسلبتني ذلك الثّوب القشيب وعوّضت من الشّباب المشيب".[7].

ويعبر السرقسطيّ عن تقلبات الحياة وتغيّرها، وتبدّل أحوال الدهر" غير أنّه قصّر بك الدهر عن مداه، فلم تفر بمداه، ولا وجدت جداه، ...وتفي لزمانك وهو يغدر".[7].

ويقول في موضع آخر:" فيا لك من دهر لا يُبقي على أحد، ولا يُبقِي على مستأنِسٍ وَحَد، يُعْنى بالقريب والبعيد، ويولع بالشقي والسعيد، ومن حقّ ذلك الفضل أن توصل أسبابه، وتُرفع قبابه، ويصُان مذاله، ويُحلّى جيده وقَذاله، وأنتم يا بني الأكارم، وذوي الهمم والمكارم، رقّوا للأفاضل، واعطفوا بالفواضل وارحموا عزيزًا ذُلّ، وكثيرًا قلّ، ومُثريا أدقع، وحائمًا على موردكم وقع".[7].

ملأ السرقسطي مقاماته بما يجعل القارئ يتعاطف مع البطل ويشفق على سوء أحواله؛ لاعتقاده بأنّه شخصيّة صنعتها قسوة الحياة في عصره، والظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة السيئة؛ حيث رصدت مقاماته الظواهر الاجتماعيّة المنتشرة في المجتمع واقفًا على الأسباب، ومعللًا لها، ومصورًا إحساس شخصية البطل بظلم الدهر له، وعبث الأقدار به، وضيق الرّزق والفاقة، جاعلاً منها الدّافع للجوئه للتكسّب والاحتيال في الارتزاق عن طريق الكُدْيَة.

المبحث الثّالث: اللهو والمجون

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

لا ريب أنّ انحلال المجتمع في صورة المقامات اللّزوميّة نتج عنه ظهور اللّهو والمجون وشرب الخمر؛ ففي المقامة السّادسة عشرة وهي الثلاثيّة، جعل السّرقسطيّ طريق بطله السائب، إلى بيت فيه لعب وقمار؛ ليشير إلى انتشار هذه الدّور وكثرة مرتاديها. [7]

وفي المقامة التّاسعة عشرة، يصف السّرقسطيّ تفشّي شرب الخمر وتعدّد حاناتها في المكان المقاميّ، فيقول في مقدّمتها على لسان السائب:" لما سَرَوْتُ سربال الشباب، ونَضَوْتُ نُضرة ذلك الجلباب، وصرت من الكبرة في أسمال، ومن الحَيْرة في سباب ورمال، ودعتُ الصّبابة والصِّبا، واستقبلتُ مهبّ الجَنُوب والصَّبا، فانحدّرتُ من بيضاء الدّرب إلى أطرار الغرب، ورجوتُ أداء الفرض، فسدكت بالنّسع، والغرض، حتى إذا كنت بأرض مصر، وقد رجوت الظّفر على زمني والنّصر...". [7]

ونجد السرقسطيّ يخصّص إحدى مقاماته وهي الخمريّة؛ لتصوير الحالة التي وصل إليها الشباب المترف،" وإذ بلُمّةٍ كالنّجوم يترامون في الكؤوس بالرُّجوم، يتهلّلون طلاقةً، ويتبذلون خلاقةً، قد نبذوا الوقار، واستحلّوا العُقار، واستنفذوا العين، والعَقار...والكأس قد دبّت في المفاصل"[7]، وأصبح الكثير من الوجهاء والأدباء الذين اعتادوا مجالس الخمر، غير قادرين على تركها، يقول السائب في المقامة الخمريّة: " كنت قد ودعت الصِّبا والصبابة، وترشّفت الشُّفافة منها والصُّبابة، واعتزمت الإنابة والإقلاع،..، وأكفأت الكؤوس والنُّخَب ، ورفعت الملاهي والصّخب، حتّى إذا ساورتني سَورة الجِريال، ولقِحتْ حرب صبابتي عن حِيال، فراجعتها بعد التطليق وقابلت عبوسها بوجهٍ طليق...". [7]

ويصف الحانات ومجالسها وآنيتها في قوله: " مجلس فسيح الفناء، عالي البناء، كثير الأفناء، قد فُضّل على أنديةٍ، وجُلّل من الحسن بأرديةٍ، رحيبة صحونه، عجيبة نغماته ولحونه، فتأمّلت يَمنَه أو شأمَه، فما رأيت إلّا صَكّةً أو نأمَةً، وإلّا كؤوسًا ونخبًا، وعزفًا وصخبًا".[7]

والسرقسطيّ يشير إلى أنّ هذه الأمكنة يكثر فيها الفساد، بل هي بؤرته، وربّما أشار بهذا إلى بداية انهيار القيم وتراجع الأخلاق في الأندلس، فيقول:" وجاريت كلّ لحوقٍ في البطالةِ وسبوق، أصبو إلى النّعم والملاهي، وأنا عن رُشدي ساهٍ أو لاهي، ولشدّ ما أُولَعُ بحديث النّديم".[7]

ومن مظاهر اللّهو والمجون ما يصوّره السّرقسطيّ في مقامة "الدب"، الأديب صاحب البلاغة والفصاحة وهو يتكسّب بترقيص دبّ له، ومداعبته، والناس من حوله مجتمعون يتراقصون معه، يقول:" فإذا بشيخٍ مُزمّل في كساء بين صبية ونساء، يعدو ويرقص، ويزيد في حديثه وينقص، وإذا في يده سلاسل، وحيوان كريه المنظر باسل، يَرقصُ برقصه، ويتوقّع مواقعَ زيْده ونقصه، وقد شحا فاه بعُود، وأخذ في هبوط من اللّهو وصعود، وهو يقول: اسمعوا ما قال أبو رَباح ذو اليسر، والرّباح الذي ليس له زئير ولا نباح، عدو النحل، وأسير الوحل"[7].

ويقول أيضاً:" أبا حبيب، أبالدّب ترتزق، ومع الفتيان تنمزق، لقد سفُل نجمك، وردُل حجمك، وخفّ وقارُك، وطال نِقارُك، وساء مآلك، وغرّ سرابك وآلُك، ولؤم سعيُك، وحرُم رعيك، ووجب نعيُك"[7]. وتظهر في النّصّ السّابق صورة الوجه الحقيقيّ للمجتمع في عصره، فهو مبنيّ على ترف نخبة من الناس ومجونهم، ولا يلتفت إلى الفقراء من أهل العلم والأدب حتى إنّهم لا يجدون تكريمًا لعلمهم؛ الأمر الذي يدفعهم إلى الكدّ على حساب كرامتهم ومكانتهم العلميّة والأدبيّة؛ ابتغاء الحصول على لقمة العيش، بعد أن تدنّتْ مكانتهم، حتّى صار العالم أو الأديب يعمل في ترقيص الدبّ؛ ليكسب وفرًا وغنى. وبهذا تعكس المقامات الواقع الاجتماعيّ وتنتقد طبقة المتسولين والمستجدين، وتصوّر جانبًا سلبيًّا من الحياة الأندلسيّة.

المبحث الرّابع: الاحتيال والدّجل الطّبّيّ والبيع والشّراء

يعرض السّرقسطيّ للقارئ في هذه المقامات أساليب متنوّعة ومختلفة من الحيل والدّجل، يكشف فيها أساليب المُكْدي والشيخ السّدوسيّ وخدعه، وما يملكه من أساليب مبتكرة ومختلفة تناسب الظروف والأحوال وما عانت منه المجتمعات، فهو في مقامة "الحمامة" يستجدي النّاس ويستعطفهم على حمامته المسكينة المريضة، ويطلب منهم عتقها؛ لأنّها وقعت في مصيدة صياد؛ ليأخذ منهم المال؛ إذ ابتكر وسيلته في كسب المال من طريقة صيد الحمامة، فيخاطب مشاعر العوام ويستدرجهم ليبذلوا ويعطوا، ولينجح في استمالة قلوبهم واستعطافهم؛ فإنّه يسرد قصّة تلك الحمامة البائسة كاملة، واصفًا ما لاقته من حجز وحبس حتّى يصل إلى المال بغيته. ولم ينس وهو يخطّط لاستمالة القلوب وضمان التعاطف المطلوب المرغوب في أن يدعم قصّته بما يحقّق له النّجاح في هدفه؛ إذ يجعل من عوَزِه وكثرة عياله وانقلاب الدّهر به حُجّةً ووسيلة للتّسوّل، فيقول: "أين منك طريد جارح، ليس ببارح، وأسير صائد، ليس بغائد، وشاج باكٍ، أخيذ شِباك...،وقد كان يضيق به الجوّ، ولا يسعه الدَّوّ، فها هو اليوم، في بيت أضيق من القبر، وحال أنكى من إبر الدّبر، ساعاته أطول من الدّهر، وأنفاسه أقصر من البُهر، ولا يقلّب ريشًا، ولا يسمو عريشا، ولا يلقط حَبّا، ولا يزور حِبًّا، فهل رأيتم كمثلها من فاقد إلف، وعاقد حِلف، نزع به الشّوق ما نزع، فكفّه الدّهر ووزع؟ فهل فيكم من يرِقّ لها ويشفق، ويرسل درهمه وينفق، يفكّ رهنها، ويردّ وهنها؟ والله لولا صبية أطفال، وجملة أغفال، أرسلوني وانتظروا، وما لمحوا غيري، ولا نظروا، لأرسلتها كرمًا، وبوأتها حَرمًا، لكن رَجَوْت عاطِفًا، وأمّلت مُلاطفًا، يجعل الدرهم لها فداء، ويهديها إلى إلفها هداءً"[7].

ويصوّر السّرقسطيّ ما وصلت إليه عقول هؤلاء من دهاء ومكر في الحيلة، وما وصلت إليه أنفسهم من سقوط؛ فالمُكدي يقدّم ابنته للبيع أمَةً، وعندما يتمّ البيع ويقبض ثمنها يرفض الحاكم الاعتراف بصحّة البيع للمرأة الحرّة. وفي مناسبة أخرى يغري أبو حبيب السائبَ الذي التقاه في الطريق بالتظاهر بحبّ ابنته حبًّا جنونيًا، لكنّه غير قادر على الزواج منها لافتقاره إلى المال. فيبدأ السّائب بجمع المال ممّن رأوا حال المُكدي ورأفوا به، لكن ما إن حصل أبو حبيب على المال حتى اختفى به مخلّفًا السّائب وراءه. [7].

ويلاحظ أنّ أكثر الظواهر الاجتماعيّة التي عالجها السرقسطيّ في مقاماته هي ظاهرة الكُدية، وأنّ البطل لديه من الدهاء والمكر والخداع، ما يجعله قادرًا على الوصول لقلوب النّاس والحصول على المال، ويبدو من كثرة الصّور الّتي رسمها السّرقسطيّ للكُدْيَة وحيلها وكثرة المقامات الّتي تناولتها وكثرة الممارسات السّلوكيّة الشّاذّة للحصول على المال عن طريقها، أنّها ظاهرة شاعت وانتشرت في مجتمعه، وبطرق مختلفة ومتنوعة بتنوّع المقام والحال والمخاطبين.

كما ظهرت في المجتمع عادة سيّئة، تمثّلت في الطّبابة الكاذبة المختلطة بالدّجل، وضمّن السّرقسطيّ في إحدى مقاماته هذه المشكلة، مُدَلّلًا على تفشّيها ومعاناة المجتمع الأندلسيّ منها، ومتحدّثًا عن اعتقاد كثير من العامّة بقدرة هؤلاء الدّجّالين على علاج الأمراض، واستعانتهم بمن يدّعون تسخير الجنّ، فأبرز السّرقسطيّ في مقامة "الطّب والعرافة" البطلَ الشيخ السّدوسيّ منتحلًا مهنتي الطّب والعرافة معًا لدى معالجته لفتى شقّه مائل، والزّبد من فمه سائل، فلجأ السّدوسيّ إلى الجنّ مستعينًا بهم لتخفيف ألم المريض، يقول:" استعيذوا باللّه من هذِهِ الأعراض، وسلوه تخفيف الشّكايات والأمراض، وجعل يرقيه ويُلدّدُه ويسقيه، ويقول: يا مارد، سهمك صارد، يا مريد، ماذا تريد،...، ما أعصاك، ما أبعدك عن الخير وأقصاك، أخرُج يا واغل شُغلك شاغل، ابعُد يا خاتل، فإنّك قاتل، لا تنفُذ إلا بسلطان، بعُدتَ من شيطان، والله لئن لم تمُرّ هوناً، لأحملنّك أونًا، وأبوّئك من الأرض جونًا، وأوسع خونك خونًا، ولأجلُبنّ على خيلك ورجْلك، ولأريقنّ ماء سَجْلك، ولأذهبنّ بناجلك ونجلِك، ولأرسلنّ عليك من الذّكر كتائب، ولأجنُبَنّ إليك من الحفظ جنائب وجلائب، تذهب بك كلّ مذهب، وتُودي بعفريت ومُذْهب"[7].

ويُوجّهُ السّرقسطيّ سهام نقده في هذه المقامة إلى هؤلاء المشعوذين الدّجّالين، فمن يتأمل في هذه المقامات يرى أنّ مقصدها النّقد الصّادر عن الغضب والمرارة والحزن، والرفض لواقع المجتمع وعاداته وأعرافه وتقاليده، والسّرقسطيّ ينتقد سلوكيّات الشّخصيّة الرئيسيّة للمقامة بأسلوب غير مباشر وخفي، قاصدًا الاعتراضَ على سلوك هؤلاء الدّجّالين الّذين يستخفّون بعقول النّاس، ويتظاهرون أمامهم بأنّهم أطبّاء بارعون ماهرون، يستطيعون شفاء المرضى،

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

فيكشف أساليبهم وحيلهم ويفضحها، ويؤكّد أنّها مجرّد ادّعاء، وأنّها لا تشفي ما يعانون من أمراض وعلل، وهو بذلك يوثّقُ لظاهرة اجتماعيّة سيئة تُبيّنُ مدى جهل المجتمع بالحلال والحرام، ويُوَثّقُ لضعف المجتمعات وتشوّهها؛ حيث يُصوّرُ مدى انخداع النّاس وإيمانهم بجدوى الشّعوذةِ واعتقادهم بها رغم ما تحتويه من سذاجة وأكاذيب بيّنة، واستغلالها للقرآن بصورة مقيتة عبر ذكر آياته والاستعانة بمعانيه أو ألفاظه.

المبحث الخامس: الحبّ والغزل

ظهرت المرأة في بعض مقامات السّرقسطيّ؛ لتكون المُحرّك للحبّ والتّصابي، ولا سيّما الجواري اللّواتي كنّ حبل الوصل بين الرجال الباحثين عن المرأة الجميلة وصاحبة المكانة العالية وسيداتهن؛ حيث رصد السرقسطيّ الدّور الذي أدّته المرأة في مجتمع عصره؛ إذ كانت بابًا من أبواب الرغبة في تحقيق أهداف الرجال، ومجالًا رحبًا للخداع.

ـــ المرأة الحبيبة، والمرأة الجارية

أَولَى السّرقسطيُّ الحبَّ ولواعج القلب اهتمامًا في مقاماته، وخصّها بمقامة تحدّث فيها عن آثار الحب ومعاناة العاشق الولهان، إلى جانب الكثير من الإشارات إلى العلاقات الإنسانيّة المختلفة، والأحاديث عن الحبّ والعشق الّتي تناثرت في مقاماته اللّزوميّة.

ففي المقامة السّادسة للسّرقسطيّ نجد ذكرًا لشخصيّة الشّاعر قيس بن الملوّح ومحبوبته ليلى، على لسان السّائب، إذ يقول: "أقمت بحكم الزّمن، في بلاد اليمن، فاعترمت الدّخول إلى عدن، فسرت من فدن إلى فدن ... حتّى انتهيت إلى مدينة مدائن، ومرفأ سفائن، وإذا بجارية تجري مع الرّيح الرّخاء ... وشراعها في السّلامة يخفق ... حتّى إذا دنت من السّيف، وألقت بكلّ ملاّح عليها وعسيف، وكنت أشوق إلى أخبار الهند، من قيسإلى ليلى"[7].

لقد حلّ السّائب في بلاد اليمن ودخل إلى مدينة عدن، وأخذ يسير بين قصورها حتّى وصل إلى مدينة مدائن الّتي احتوت مرفأً للسّفن، فرأى سفينة تُحرّكها الرّيح وشراعها يخفق برجوعها بالسّلامة من الهند، وظلّ ينظر إليها إلى أن وصلت إلى الشّاطئ ونزل من كان عليها من ربّان وأجير وخادم، ثمّ عبّر عن شوقه لأخبار الهند، فاستدعى شخصيّة قيس الّذي جُنَّ بمحبوبته ليلى فهام على وجهه حبًّا لها، واستثمر الكاتب جانب الشّوق في شخصيّة قيس؛ ليضفيه على شخصيّته المتشوّقة والمتلهّفة لمعرفة ما يحمله أهل السّفينة من أخبار، فشدّةُ شوقه لهذه الأخبار تشبه شدّة شوق قيس إلى ليلى.

وفي مقامته الّتي خصّصها للحديث عن لواعج الحب وآثاره ومعاناة العاشق الولهان من الحبيبة، وأثناء زيارة مدينة السّلام مقرّ العلم والعلماء، قال السّائب وهو يتجوّل في أزقّتها: "إذ أنا بسرب نساء، يتخايلن بين مرط وكساء، يتأوّدن تأوّد الغصون، ويكشفن من الحسن المصون، ويتناجين بألفاظ أعذب من السّلوى، وأرقّ وأقتل من البلوى، وإذا بإحداهن، حسبتها قيّمة عليهنّ، قد أغدقت قناعًا، وأبدت امتناعًا، فما زالت تلاحظني وتطرف، وأُنكِرُ منها وأعرف، وأنا أتبع الآثار، وأولي من الخجل العثار، وتلك تتابع الالتفات، وتشير إلى أن فات ما قد فات".[7].

ويصف حاله ومعاناته في الحبّ، وتولّي المرأة عنه وتمنعها، يقول:" ثمّ تولّت عنّي ونفسي تتبعها طربًا، وظنّي يَعجمُ نبعًا وغَرَبًا، إلى أن جنّ الليل، وساهرني الويل، فَبتُّ بليلةِ زيادٍ على نماءٍ من الهمّ وازدياد..." (السّرقسطيّ، 2006، المقامات اللّزوميّة، ص: 92)، فخاطبته قائلةً: [7]

يَا مَنْ يُرِيدُ وِصَـــــالِي ... رَكِبْتَ حَدَّ النِّصَـــــالِ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَـــــــومٌ ... لِلْباتِرِ القَصَّـــــــالِ

إنْ كُنْـــــتَ تَزْعُمُ حُبّي ... فَأَيْنَ مِنْكَ وِصَـــــالِي

أَكْرِمْ بِهـــــــــ مِن شَفِيعٍ ... إلـــــــى الْمُنى وَصّالِ

فمـــــــــا ثَنائِيَ قَوْلٌ ... وَلَوْ وَشَاهُ الْخِصَـــــالِي

ثمّ يبُثُّ لواعج انتظاره لها بعد أن تولّت عنه، منتظرًا يومًا آخر جديدًا يلقاها فيه، ويطفئ شوقه إليها، فيقول واصفًا مشاعره: "ثمّ تولّت عنّي، ونفسي تتبعها طربًا، وظنّي يعجم نبعًا وغربًا، إلى أن جنّ اللّيل، وساهرني الويل، فبتّ بليلة زياد، على نماء من الهمّ، وسالت أوضاحه وغرره، وتباينت عن أصدافها لآليه ودرره، خرجت ألتمس جني خبر أو أثر، وأقول: "لا قطع في ثمر ولا كثر"[7]، وشملت معاني الحبّ والعشق كامل المقامة، فبثّت مشاعر تمنّع المرأة وخفرها، كما تخلّلت العذريّة والشّفافيّة أوصاف المرأة لدى السّرقسطيّ.

وتحدّثت مقامات السّرقسطيّ عن حبّ المرأة وآثاره ومعاناة العاشق الولهان من الحبّ والحبيبة، وذكر فيها المرأة الجارية الّتي تُباع وتشترى، فأفاض في ذكر أوصافها الحسّيّة بتصوير بالغ فيه، يقول: "فإنّي عرضت اليوم جارية، ذاهبة في العقول جارية، رائعة الجمال، باهرة الكمال،...، ودخل بنَا إلى مِثلِ القَمَرِ التّمامِ، مفدّاةٍ بالأخوال والأعمام، تَفتَرّ عن شَنَبٍ كالبرَدَ، وتهتزُّ عن قوامٍ كَسَيفِ الصيقلِ الفرد... إلى أن هَدَأَ شِمَاسُهَا وأمكَنَ لِمَاسُهَا، فإذاَ نَهدٌ كالتّفّاح قد خُتِمَ بالعنبرِ النَّفّاح، وخصر بتيلٍ كما لُوى الفتيل، وكفلٌ ردّاحٌ كما انداحَ من الرملِ مُنداحٌ... [7].

وقد يحتال السائب بالراوي بادّعاء الحبّ والمسّ والجنون، فيقول:" هذا ابن عمّي لحًّا، ...، وكانت له ابنة عمٍّ يهواها وتهواه، وربّما غشي مثواها وغشيت مثواه، فأحسّ بذلك أهلها، فتساوى بالقطيعة حزنها وسَهْلها، فخالطه مسٌّ وجنون، وغالبه من الحبّ ضروبٌ وفنون..." [7].

كما أنّ المجتمع في المقامات لا يخلو من ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء، وهذا ما ظهر واضحاً في معاملات البيع والشراء، واتّخاذ المرأة حيلة من حيل الخداع، والإيقاع بالشخص الثري ومن يملك المال. [7].

حيث نجد في مقامات السّرقسطيّ صورةً أخرى للمرأة، كشف فيها عن مكر الجواري والنّساء بالرّجال المشتاقين لأحوال العشق. إنّها لعبة كلّ زمان ومكان يرصدها السّرقسطيّ في المجتمع العربيّ في عصره، حيثُ شوقُ الرّجال الشّديد إلى وصال المرأة ذات المنصب والجمال يفتح عليهم بابًا كبيرًا للخداع، وتلعب الجواري بعقولهم، ويُمّنينهم بوصل سيّداتهنّ عن طريق المراسلة بينهم، وتفهمه الجارية أنّ سيّدتها وافقت على وصاله إذا قدّم ما يُقنِعُها بذلك.

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

وتعرض إحدى المقامات مأساة الرّاوي في بغداد، إذ ذهب إليها سائحًا، فأدهشه في أحد شوارعها سرب من النّساء يسرن "يتخايلن بني مرط وكساء، يتأوّدن تأوّد الغصون، ويكشفن عن الحسن المصون، ويتناجين بألفاظ أعذب من السّلوى، وأرقّ وأقتل من البلوى، وإذا بإحداهن حسبتها قيّمة عليهنّ، قد أغدقت قناعًا، وأبدت امتناعًا... فأشعلت ناري، وسرحت من عقاله ديناري، واشتدّ برحي، ورتع سرحي، وسرت وراءها ألاطف وأغازل، وأعاطف وأهازل... "[7].

ويكتشف الرّاوي في هذه المقامة أنّ مَن أخذت بلبّه ليست إلّا جارية لسيّدة ذات منصب وجمال، وستمنّيه الجارية بوصلها متعلّلةً بأنّ سيّدتها المزعومة وإن وافقت من حيث المبدأ على التّواصل مع الرّاوي إلّا أنّها: "من عقيلة ملك، وفريدة سلك، لا تقابل بنظر، ولا تؤخذ بحذر" ثمّ تحفّزه الجارية قائلة: إنّي لأراك تترجّح، فأين ما به تتبجّح؟ وما مع الحبّ بخل، ولا زكّى على الشحّ زرع ولا نخل، وهل فاز بأمله بخيل؟ أو أنجح في عمله مخيل؟ فدعني من هذه الرّذيلة، وجد بالسّبيكة والوسيلة، قال: فقلت لها: هذه العياب، والحليّ والثّياب، خذي ما أردت، وبالله إلّا ما رجعت بما تلقاه وعدت"، ثمّ أخبرته أنّ عليه أن يُرَتِّبَ مجلسه حيث ستوافيه وإيّاها مع العشيّة، إلّا أنّ اللّيل كلّه مضى، فيقول: فلمّا صدع الفجر وسالت أوضاحه وغرره، وتباينت عن أصدافه لآليه ودرره، خرجت ألتمس جني خبر أو أثر، وأقول لا قطع في ثمر ولا كفر، فإذا في حلقة الباب رقعة فيها:

زَلَّتْ بِكَ النَّعْلُ أَبَا الْغَمْرِ وَصِرْتَ مِنْ أَمْرِكَ فـــــي إِمْرِ

مَا ذَهَبَ المـــــالُ بِوَعْظٍ فلا تُبْدِي الْأَسى مِنْ عِظَةِ الْعُمْرِ

... قال: فشربتُ منَ اليأس، أفظع كأس، ولجأت إلى السّلوان، وبرئت من الأصحاب والإخوان، وصحوت من أجوالي وأوصابي، وقلت: هذا آخر عهدي بالغزل والنّصابي"[7].

نلاحظ هنا، أنَّ السّرقسطيّ جعل هذه الحادثة بالنّسبة للراوي عِظَةَ العُمر كما وصفتها الرّقعة الّتي وجدها في حلقة الباب،[13]، ويكشف النّصّ عن صورة المرأة اللّعوب الّتي تتلاعب بالرّجال من أجل الحصول على ما تريد، وكانت هذه الصّفة السّيئة شائعةً في هذا المجتمع آنذاك، ووظّف السّرقسطيّ الجارية للكشف عنها.

ومن صور كثرة الفساد ومخالطة النّساء للرّجال بين المسلمين في المقامات اللزوميّة، قَوْلُ السّرقسطيّ يسأل الجارية: " فسألتُها: بالله إلا ما عرّفتَني بالكنية ...، فقالت: أم عمْرو، وليس لي مِن عمْرو، وكم صاحبتُ في هذا الشأن من زيد ومن عمْرو...، فسرنا حتى تعيّن لها منزلي فقلت: أقيمي إن شئت أو انزلي، فقالت: سأغيب عنك بقيّة يومي لأوفِيَ نذْرَ صومي"[7]

ويركز السرقسطيّ من جهة أخرى في صورة المرأة، على جاذبيتها وفصاحتها، ووقعها في النفس، وقد لا يذكر الأسماء صريحة بل الكنية، ولعلّ في ذلك إشارة إلى احترامه للنساء؛ حيث يقول: " دخلت إلى دار الرقيق، وأنا ذو نفسٍ نازعة وقلبٍ رقيقٍ، فعُرضت هناك جارية ما جارية، ذاهبةٌ في النّفوس جاريةٌ، تلعب بالأهواءِ والأوهامِ، لَعِبَ المياسر بالسّهام، تُدِعُ القلوب من هواها، ما تُشغِل به عن سواها، فلقد أودعت قلبي ضِرامًا، وأوسعتني كَلَفًا بها وغرامًا، فإنّك لو كنت جوارها، تسمع حِوارها، تُجاوب مولاها وتُراجعه، وتعارضه وتساجعه، يقول لها: ... ويا سليلة الأقمار، كم لي فيك من إضمارٍ:

هيهات إسراري وإضماري إن قيل: بانت أم عمّارِ" [7]

الغزل بالمذكر

كما ظهرت في مجتمع المقامات اللزوميّة صفة أخرى وهي الغزل بالمذكَّر، والتّغزُّل بالمذكر ظاهرةٌ بدأت في المجتمعات الإسلامية منذ منتصف القرن الثاني الهجري عند أبي نواس وأضرابه من الخلعاء، وقد ملأ أبو نواس ديوانه بالدّعوة إلى الغزل المذكّر والإشادة بجمال الغلمان والسّخرية من القيم والمُثُل العليا، معَ وَفْرَة الجواري وشيوع التّهتّك واختلاط عدد كبير من الأجناس البشريّة فيما بينها اختلاطًا عظيمًا[14].

وقد أشارت المقامة العاشرة إلى قصة غرام وقعت بين رجل من خراسان وغلام من نفس جنسه؛ حيث تعلّق ذلك الرجل بفتى من خراسان وهام حبًّا وعشقًا به" فما زال الدّهر يصرمُ منّي حِباله، ويصرف عنّي باله، ويزدري بهوايَ، ويولَعُ بسوايَ، ويسومُني الضّيم، ويُلبسني الذّيْمَ، والصّبر عنّي نافرٌ، ووجه الوجد إليّ سافرٌ، والصّبابة تعتاد، والنّفس لا تبغي سلوةً ولا ترتادُ،...، حتّى دعتني دواعي التّبريح، إلى الإعلان، والتّصريح، فقدحتُ من زندي شحاحًا، ووالَيتُ إلحافًا وإلحاحًا، فبلأيٍ ما جاد، وإن كان ما أجاد..." [15].

وتصوّر المقامة سعادة العاشق بعودة معشوقة إليه ووصاله بعد هجره، وفرحة العاشق برسالة محبوبه" فما كان إلّا أن نظر الرّقعة ولَمَحَ، وجاد بالوصل وسمح، ...، ولو خُيّر هذا العاشق بين مُلكٍ فخْمٍ، وعزّ ضخمٍ، وبين ما صار إليه منَ القرب، وانفراج ذلك الكرب لاختاره على كلّ رتبةٍ".[7].

إنّ ظاهرة التعلّق والوله بالغلمان لجمالهم ورقّتهم، كانت قد انتشرت في بادئ الأمر في الغزل في العصر العباسيّ، ويبدو أنّ السرقسطيّ عكس في مقاماته انتشار هذه الظاهرة في عصره.

المبحث السّادس: الأطعمة والأشربة

نظرًا لتمتّع بلاد الأندلس بالخصب والنّماء فقد كثر لديهم الطّعام ألوانًا وأشكالًا، وأشار السّرقسطيّ بدوره إلى الطّعام الأندلسيّ في بعض مقاماته، ففي المقامة الثانية يقول على لسان السّائب:" سقط السّائل على الخبير، وأتاه بالقبيل والدّبير، تركتها والكلأ حميم [النّبات الطّويل]، والنّبت عميم، من أرض صفت منها المشارع، وضفت الأباطح والأجارع، فتضاحكت الأزهار والأنوار، وتألّف الفزر والصّوار، وتصاحب الأنس والنّوار، وتغايرت الأنجاد والأغوار، يا له من مرتع خصيب وحظّ لرائده مصيب...". [7]

ويدلّ هذا على طيب المأكل والمشرب في تلك البلاد، وسَعة الخير والبركة فيها، وقد أشار السرقسطيّ إلى الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعيّة المرتبطة بالعادات والتقاليد، لا سيّما المتعلقة في الأطعمة والأشربة، ومنها ما كان يركّز على أحوال النّاس وظروفهم؛ فيذكر مظاهر الكرم وأنواع الأطعمة والأشربة التي كانت متداولة بين النّاس، وكانت تُقدّم للسائب في البلاد التي زارها؛ فحين زار السّائب قرية في الشّام، قال لأهلها:" هل من شُربة أو نُغْبةٍ، فقد برّح بي الظّمأ، ولذّ لشاربه الحَمَأ؟ فقالوا:" هل لك في الحليب أو الماضر، فإنّه تحفة البادي والحاضر؟، فجاءوا بالعُلَب وقالوا:" هلُمّ إلى الحَلب"، فكرعتُ في أنقعَ، من الزُّلال، وأسوغَ من الحلال، وأشهى من قِطَعِ الرّضاب، وأندى من زهر الهضاب...، وقدير مُعجّل، ونشيلٍ مؤجّلٍ، وشواءٍ مُضهّبٍ" [7].

وفي المقامة " الخمريّة"، يصف السّرقسطيّ تفشّي شرب الخمر وتعدّد حاناته " فقرعت من ذلك الدّير بابًا، وصادمت من يمّه عبابًا، وما هداني إليه إلّا سنى الصهباء، ونفحة النكباء..." [7].

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

وكذلك يصف السائب مجلسًا مع الشيخ أبي حبيب، يشربان الحلو والحامض، وعندهم ما لذّ وطاب من الطعام، ويسمعان الأغاني والألحان، ويتسامران بأحاديث الدّيار والمغاني؛ حيث يقول الرّاوي في المقامة الثّامنة والعشرين: "وبقينا كذلك نشرب الحلو والمزيز، ونناغي المكين والعزيز، نسمع الألحان والأغاني، ونندب الدّيار والمغاني، أيّامًا وشهورًا، عصورًا ودهورًا، إلى أن حان حين ملاله، ونضبت حياض زلاله، قال لي: يا سائب، لا يربْكَ منّي رائب، المرء بزمام القدر مقود"[7].

ويصف في مقامته" البربريّة" حين دخل طنجة، كيف قدّم أهلها له الطعام والشّراب، من لحم ولبن وحليب، وأنّهم أهل كرم للضيف" قدّموا إلينا من الشّيزى جفانًا كالجوابى، عليها ثرائدُ كالهضاب أو الرّوابي، تنهَلُّ سماؤها بدرر الشّحم، وتُشرق أرجاؤها بفدَرِ اللّحم، وجعلنا نأكلها خضمًا وقضمًا...ثمّ أتوا بماء قليبٍ، وحازرٍ من اللبن وحليبٍ،...، قال: وأكرمونا منّا طريدًا وشريدًا، ثمّ دار بينهم شرابٌ يدعونه بأنزير، لا بالحلو ولا بالمزيز..." [7].

المبحث السّابع: اللباس والزينة

صوّرت المقامات للزوميّة البعد الاجتماعيّ وطبيعة التّركيبة الاجتماعيّة للمجتمع الأندلسيّ، فحيثما نزل بطل المقامة رافقته إشارات إلى عادات وتقاليد وطبيعة ملابس ذلك المجتمع والزّينة والحليّ المبالغ فيهما، بشكل مباشر وغير مباشر. ورصدت، كذلك، تنوّع الطبقات ومستوياتها من غنى وفقر ورفاهية وحرمان في مجتمع تكثُر فيه الأمراض الاجتماعيّة والخلقيّة.

ففي المقامة" البربريّة"، يصف السرقسطيّ على لسان بطله، طبيعة التركيب الاجتماعيّ، وعادات النّاس وتقاليدهم ولغتهم، حين زار مدينة طنجة؛ حيث يقول: "فأقمت بين أقوام كالأنعام، أو كالنّعام، وأناس كالسّباع، أو الضّباع، لا أفقه مقولهم، ولا يوافق معقولي معقولهم، قد فارقت القوم زيًّا ولفظًا...، إلى أن ألقوا عليّ بجادًا بعد بجاد" [7].

ويبدو جلياً النقد الشديد للبربر وحياتهم وملابسهم وألوانهم وأشكالهم، كمايكشف السّرقسطيّ في بإتقان عن ملابس النّاس وزينتهم وعاداتهم وصفاتهم، في مجتمعه متعدّد الطّبقات والفئات، وكيف أنّ هنالك مجموعة من النّاس استبدلت كلّ ذلك بالخمر وآثرت رائحته على الملابس الفاخرة والرّوائح الطّيّبة، يقول في المقامة الأولى واصفًا قومًا مرّ بهم:" قد نبذوا الوقار واستحلّوا العقار، واستنفذوا العين والعقار، وعوّضوا من المسك الذّن والقار، تنمّ عن شمائلهم الرّياض، وتخجل من أيمانهم الحياض، قد غفلوا عن العواقب، ولم يشعروا بالزّمان المُراقب، يحيّون بالريحان يوم السباسب، وينتمون إلى أكرم المناصب والمناسب، قد لفّهم الشّباب في برده، ورواهم من سلسله وبرده، يتنقلون جنيّات اللّمم، ويجرون فضول الرّيط واللّمم، والكأس قد دبّت في المفاصل، فما ترى غير مساعد أو مواصل، قد نزلوا من الأرض وهادًا، وافترشوا الرّوض مهادًا".[7].

ومن مظاهر التّرف والنّعيم في الملابس والزّينة، قوله في المقامة الأولى، أيضًا: فابتدر الشّيخ يفديني بأبنائه، ويهديني بهنائه، ويقول إنّه لكما قال، ومن أين لعاثر أن يُقال، أنا أعرف آباءه وأجداده، وشهدت جموعه وأعداده، طالما ركب السّرير، ولبس الحرير، وصبت إليه الكعاب، وانقصفت دونه الكعاب، وخضعت لجدّه الأملاك...". [7]

ويضيف قائلًا:" فكلٌّ خلع ما عليه وألقى بما عنده إليه، وخلع عنّي خلق الأسمال، وجاء بما شاء وشئت من كسوة ومال، فملأ اليمين والشّمال، واستقبل الجنوب والشّمال... اللّهمّ يا رافع الإعدام...متّعهم بالمسرّات والحَبَرات وألحفهم بالمروط والجبرات"[7]، وهنا تبرز رغبته في التّمتّع بالمسرّات والخيرات، وأن يلبسوا الملابس من الصّوف والخزّ الّتي يؤتزر بها، وأن يلبسوا أفضل الملابس الّتي عليها الزّخارف والرّسوم.

وتسجل المقامات كثيرًا من المظاهر الاجتماعيّة المتعلقة بالمناسبات والاحتفالات والأعياد ومواكب الملوك وأصحاب المناصب كالعطور والملابس الفخمة وأدوات الزّينة " فإذا به قد طلع علينا ذا نَشْرٍ ذائع، ومركبٍ رائعٍ، وملابس فخمةٍ، ووجاهة ضافية..." [7]،" وقد لفّ يده على ثياب وأعلاق، وفضّ ما هناك من خواتم وأغلاقٍ" [7]،"لك الطّيب والبخور، والمسك والصّندل، والنّد والمندل[7]".

وتكثر الألفاظ الدّالة على اللباس والزينة في مقامات السرقسطيّ في صوره وكناياته "وسحبت السّماك ذيلًا وردنًا"[7]، "أين فعلي من فعله، ومن لتاجي بنعله؟"[7]،"وربّما قطع الليل تهجُدًا"[7]، تلك سِربال شبابي، والعوض الكافي من أحبابي، تلك تحفة أيّامي"[7]،" كما زها التّاج والإكليل، ... وعين كمرآة الصّناع"[7].

ويظهر ممّا سبق، أنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع تبادليّة فـ " للأدب انعكاسات اجتماعيّة عديدة، وهو في حدّ ذاته يُعدّ انعكاسًا اجتماعيًّا حتى في أكثر موضوعاته خصوصيّة، فهو نشاط اجتماعيّ قبل أن يكون نشاطًا لغويًّا، حتى اللغة تفسّر من منظور اجتماعيّ قبل أن تُفسّر من منظور آخر"[16].

المبحث الثّامن: المظاهر الدّينيّة

صوّرَتِ المقامات جوانب متعدّدة من المجتمع الأندلسيّ في صورة واضحة، فقد كشفت بشكل واضح جلّيّ أحوال الفرد وعلاقاته ومشكلاته، وأبرزت المكانة التي كان يتبوؤُها الوُعّاظ في المجتمع الأندلسيّ، وبيَّنَتْ مدى تعلّق الأندلسيّين بمجالسهم وحرصهم على سماع أحاديثهم الوعظيّة وتوجيهاتهم الدّينيّة، وكشفت من جهة أخرى عن استغلال فئة من المجتمع الوعظ الدّينيّ لتحقيق مآرب شخصيّة.

شكّلت مقامات السرقسطيّ انعكاسًا حقيقيًّا للحياة الاجتماعيّة، ورصدت الكثير من المظاهر الدّينيّة؛ كالقاضي الظّالم المرتشي، والواعظ والزّاهد وقناع التّقوى، والمتردّد في التّوبة.

ـــ القضاة

إنّ تنقّل السرقسطيّ في مقاماته بين البلدان هو من قبيل رسم صورة كاملة شاملة عن الحياة وسوء المظاهر الدّينيّة فيها، فقد وظّف أكثر من مقامة لنقد الأوضاع السّياسيّة والقضاء، حين سلّط الضّوْء على شخصيّة القاضي؛ لنقد الأوضاع الدّينيّة، وبخاصّة سياسة القضاء؛ فنراه في إحدى مقاماته يظهر لنا شخصيّة القاضي المرتشي ومن يعمل بأمره، فيقول القاضي مخاطبًا السّجّان: "يا أخا المُجّان، بلغني أنّك تساهم القوم في الغدوات والعشوات، وتسامح في القهوات والنشوات، وأن لك على ذلك جذرا، ما سمعت منك فيه عُذرًا، وما الذي حملك على ذلك وجرّأك، وخلّصَك من هذهِ التّبعة وبرّأك؟ وهلّا عرَّفتنا بما صنعت وأدّيت ما جمعت ومنعت، تختصُّ به دوننا اختصاصًا، ولا تخافُ اقتصاصًا، والله لا برّاك ولا نجّاك، ولا أطمعك، ولا رجّاك، إلّا أنْ تُسلّم كلّ ما في يديك، وتتخلّى عما لديك، وإلّا فالحديد والسَّوْط الجديد، حتّى تعلم ذنوبك، وتتجرّع من الذّلّ ذنوبك، قال: فتضاءل لديه تضاؤُلَ الصّبيّ، وأظهر لُوثة الغبي، وأعرب وأعجم، وردَّدَ وجمجم، وقال: إنّ الّذي نضّ من ذلك وحصل، قد خلص إليك ووصل، على يدي الكاتب، وقد زعَم أنّه من الرّاتب[7].

ويظهر بجلاء دور العاملين مع القضاة، في نشر الظلم والباطل والفساد؛ فهم أدوات القضاة التي يستخدمونها في نشر الظلم والفساد.

ويعكس المقاميّ صور الفساد والرشوة، التي نراها في صورة أحد القضاة وكاتبه؛ حيث كشف الكاتب قبح تلك الشخصية وجورها، وأخذ الرشوة وجمْع المال

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

من النّاس، ونقدها نقدًا لاذعًا شديدًا " فإنّكَ الذي لا يَكْفيهِ قليلٌ ولا كثيرٌ، ولا يسلم من ظلمه خسيسٌ ولا أثير، تُساهم في التُّراث، وتزاحم في الاحتراث، وتستمطر من صيّبٍ وجَهَام، وتضربُ في كلّ قضيّةٍ بقاصلٍ وكَهَام، تَلْمَحُ الدّرهمَ، فتركب الأيهم، وترى الدّينار، فتقتحم النّار، لا تبالي العار...، تزعم العلم وتدّعيه، ولا تفهمه ولا تعيه..." [7].

ويرسُم السرقسطي في مقابل صورة القاضي الظّالم صورة القاضي العادل لكي يزيد من توبيخ القاضي الظّالم؛ فالقاضي العادل هو القاضي الممدوح المحبوب الذّكيّ، الّذي يجمع الأدلّة، ويسمع أقوال الأطراف المتنازعة، ليحكم بالنهاية بالحقّ، وهذا ما تجده في إحدى مقامات السّرقسطيّ الّتي يتعرّض السائب فيها إلى الاحتيال من ثلاثة رجال يدّعون أنّ السائب كان عبدًا لأبيهم المتوفّى، وأنّه هرب منهم، فيخاطب السّائب القاضي قائلًا: "أيّها القاضي الدّيّان، بالذي أمضى حكم الحكمين، إنّي لحر وابن أحرار أعيان، لا من بني العبيد، ولا من بني القيان، أُنمَى إلى أبٍ كماء المزن، وحسَبٍ كرَوضِ الحَزن[7].

إنّ هذا النّص يحمل بالإضافة إلى إشارته إلى القاضي العادل إشارة خطيرة إلى طبيعة تركيبة المجتمع وطبقاته، وإلى استعباد الناس الغرباء واسترقاقهم بالادّعاء؛ فالمقامة هنا، تصف تعرّض السّائب للاحتيال من ثلاثة رجال يدّعون أنّه كان عبدًا لأبيهم المتوفّى، وأنّه هرب منهم.

وقد صوّر السّرقسطيّ في مقامة "القاضي" جانبًا من جوانب أخلاق العصر وطبائعهم على لسان الرّاوي السائب بن همام؛ إذ نَقَلَ مشهدًا من مشاهد الظّلم الاجتماعيّ والفساد والرّشوة الّتي تمثّلت في صورة أحد القضاة وكاتبه.

ـــ الزهّاد والوعّاظ

ويبدو الاتجاه الدينيّ جليًّا في مقامات السرقسطيّ؛ لما مرّت به البلاد من ظروف قاسية، ومحن كثيرة دفعت الناس إلى التّمسك بالدين، والرجوع إلى تعاليمه؛ لإنقاذ أنفسهم ممّا أصابهم وحلّ بهم.

لقد صوّرت المقامات جانبًا إيجابيًّا حين عرضت صورًا تمثّل النّزعة الدّينيّة القويّة لدى أفراد المجتمع في إقبالهم على الزّهد والتّعبّد والتّنسّك، والحرص على حضور الحلقات الدّينيّة الّتي كان يعقدها أهل التّقوى. [7] وبالطبع هذا يمثّل الصّورة المغايرة لظاهرة اللّهو والمجون المنتشرة في المجتمع الأندلسيّ.

كلّ ذلك يُبرِز تناول السّرقسطيّ لظاهرة الانحلال الخلقيّ؛ ففي إحدى المقامات الوعظيّة، يستمع بطل المقامة إلى اعتراف أحد المُجّان بما ارتكب من آثام وأخطاء، فيعلن ندمه ويدعو الله أن يغفر له ويرضى عنه، يقول:"... أنا من جملة تُقارف الذّنوب، وترجو من فضل الله تعالى السَّجل والذّنوب، وتواقع الخطايا، وتركب الجرائم رواحل ومطايا، ثمّ ترجو من ربّها المواهب والعطايا، سمعنا تضرّعك وابتهالك، فخشينا أن أمرًا ما هالك، فجئنا نرجو يُمن جِوَارك، وبَرَكة جِوارك"[7].

وتناولت بعض مقامات السّرقسطيّ الوعظيّة ظاهرةَ زهد المُجّان، وعرضت حياة المجون الّتي انغمس فيها بعض أفراد المجتمع، وصوّرت صحوة الضّمير عند بعضهم ممّن ردّتهُم نفوسُهم إلى جادّة الصواب، وتسجّل المقامات حال التّائب قبل توبته وما يدور في نفسه من سجال وصراع بين لذّة المجون وطعم حياة العبث، وبين خوفه من الله وعزمه الصادق ونيّته المبيّته في التوبة، يقول:" أقمتُ ... أخبطُ من ليل الغواية داجيًا، وأستصحب من خدن الصبابة مداجيًا، وأسير في مَيْدان البطالة واضعًا أو ناجيًا. إلى أن نفد العمر والوفر، ودار السّماك والغفر، فأزمعتُ إقلاعًا، ورجوت اضْطِلاعًا، وحنيت على التوبةِ جوانحَ وأضلاعًا، وبَقِيتُ لا يقرّ بِي قرار، ولا يعتادني من النّوم إلا غرار، ولا ينفح من الرّوض رند ولا عرار، تفكّرًا في الموت، وحذرًا من الفوت، وارتقابًا للصّوت[7].

من جهة أخرى يبدع السّرقسطيّ في رسم صورة الواعظ المزيَّف الّذي يختبئ خلف قناع الدين؛ ففي إحدى المقامات يتخفّى بطَلُ المقامة في صورة الواعظ التّقيّ، فيسرق أمتعة المصلّين وأموالهم، يقول: "إنّه صلّى معَنا العشاء، وأتى من حسن القول بما شاء، فعطف منا معاطف وجوانب، وأسال منّا متالع ومذانب. وزعم أنّه في غدٍ راحل. وأنْ سوف تطويه المراحل، وسأل المبيتَ في المسجد، معَ كلّ منهم مثله ومنجد، فأكرمنا عشاءه ووصلنا رشاءه، وأرحنا من نصبه وعيه، وقمنا بشبعه وريه، فلمّا أصبحنا لصالة الصبح، عثرنا من أمره على قبح، ووجدنا من كان معه قد سلبه ريشه، وثَلَلَ عريشه"[7].

ـــ التوبة والمتردد فيها

يبدو أنّ الواقع السّياسيّ السّيء، كان له أثرٌ في توجّه الأدباء بعامّة، وكتّاب المقامات بخاصّة إلى التّذكير بالآخرة، والتّرغيب في التوبة؛ فقد كانت التّوبة من أكثر المعاني دورانًا على ألسنة الشّخصيّات في مقامات السّرقسطيّ؛ استغلّ فيها الكاتب دواعي التوبة وبواعثها من واقع سياسيّ متردٍ، ولرغبته في تخليص المجتمع ممّا فيه من فساد وانحلال أخلاقي؛ وقد جاءت المقامات اللزوميّة لتعطي فكرة عن أوضاع المجتمع المختلفة ونظرة الأديب لمجتمعه؛ حيث " يحاول أن يدفع به إلى الأمام، والمجتمع يهيئ الجو والبواعث للأديب، ويوفّر له مادة الإبداع الخام"[17]. يقول السرقسطيّ في مقامة " الموشّحة":... إلى كم يسُوّفك الأمل والرجاء، ولا يشوّقك المَهل والإرجاء، والعمر قد انصلت انصلات السابق، والشباب قد انفلت انفلات الآبق، والغرور يخادعك ويصاديك، والسرور يوادعُك وهو يُعاديك... حتّى إذا هاجمك الحِمام المهاجم، وعاجَمَك التّمام العاجم، أصبحت تقلّب طرْفا كليلاً، وتذبذب حرْفاً عليلاً، تتأسّف وأنى لك الرجعى والمتاب، وتتلهّف وهيهات منك الحسنى والإعتاب" [7] .

ويختتم السرقسطي مقامته الوعظيّة بقطعة من شعره؛ وهي طريق سلكها في كلّ مقاماته، ولعلّه رأى أنّ أثر ذلك في النّفس أثبتُ وأكثرُ تأثيرًا. [18]

ونجد السّرقسطيّ يحضّ الإنسان اللاهيّ والبعيد عن جادة الطريق، على التّوبة السّريعة، والاستكانة لله ومحاسبة النفس، يقول: "ولا وسامك السماء ورافعها، وماسك الذماء ودافعها، إنّك في حبائل الرزايا لمُضطرب، ومن مناهل المنايا لمقترب، تَردُها وردَ القَطا النّهال، وتقصدها قَصدَ الهوى للجُهّال. ثم لا يخيب من عملك كثير ولا قليل، ولا يغيب من زللك حقير ولا جليل، وإنّه لمحُصى في الكتاب محدود ومستقصى بالحساب معدود"[7].

وما انفكّ السّرقسطيّ يصف الموت، وينبّه على حتميّته، ويذكّر بالآخرة والبعث والحساب، لزجر الضالّين وتخويفهم، وتنبيه الغافلين، فالموت خير واعظ، يقول: "الموتُ لابُدّ نازل، والأجل مقارب ومنازل، والمرء بين أمل خادع، وقدر رادع، وعمر ذاهب، وأجل ناهب، وظلّ مائل، وفيء زائل، ورأي فائل، ويقول لن تبيد، وما أطيب السلع والهبيد، وغُرابُ الرّدى يحوم ويُحلّق، والدّهر يُبلي جديدَه ويُخلِق"[7].

ويُذكّر كذلك، بمَنْ مضى من الأمم وعظام الرّجال للاعتبار والتّأمّل والتّفكير بالمصير الذي آلت إليه تلك الممالك والدول، فالواعظ يقف أمام الأهرامات المصرية مذكّرًا بالموت، يقول بلغة جميلة فيها أثر قرآني واضح: "أين من شيد وأطال، وملك واستطال، وكفر وتمرد، ونكب عن السبيل وعرد، أين فرعون ذو الأوتاد، وكنعان أخو العدد والعتاد، أين منه العصيان والعناد، بل أين الحشم والأجناد، مروا كأمس الدابر، وانصدع الشمل، فهل من جابر... فأين الأجساد والجسوم، تمرون على القبور والأجداث، ولا تفكّرون في النّوائب والأحداث، فيا عجبا للاه عنها ومُعرض، وهو من الحتوف في ميدان ومعرض . ويا أخا الدول والممالك، هل أنت إلّا هالك وابن هالك[7].

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

ونجد الدعاء والاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، واضحًا في المقامة (الموفية خمسين)، فالشّيخ السدوسيّ يعلن توبته، ويطلب المغفرة "اللّهمّ إنّه كثُرَ نسياني، وطال عِصياني، وتكاثفتْ ذنوبي، وأرَقْتُ سَجلي وذنوبي، وأفنيتُ عمري في الأضاليل، وتسوّفتُ بالأماني والتعاليل، حتّى قيدني الهَرَمُ، وأوثَقَني البَرَمُ، وناهزني الحِمامُ، وعاجزني الحِمامُ، اللّهمّ إليك رَجَعتُ، وبذكرك سَجَعتُ، ... فاجعلني ممّن لا يَخيبُ عن رحمتك ولا يغيبُ"[7].

وترصد المقامات اللزوميّة نمطًا آخر من أنماط السّلوك البشريّ، إنّه صاحب التّوبة المتقلبة؛ حيث يرتد التائب إلى عادته وخطيئته، ويعود إلى عبثه ومجونه، يقول: "كنت قد ودعت الصبا والصبابة، وترشفت الشفافة منها والصبابة، واعتزمت الإنابة والإقلاع، وحنوت على التوب الجوانح والأضلاع. حتى إذا ساورتني سورة الجريال، ولقحت حرب صبابتي عن حيال، فراجعتها بعد التطليق، وقابلت عبوسها بوجه طليق"[7].

وبهذا فإنّ المقامات قد صوّرت جوانب متعدّدة من المجتمع الأندلسيّ؛ فكشفت بشكل جليّ عن أحواله وعلاقاته ومشكلاته، وأبرزت المكانة التي كان يتبوؤها الوُعّاظ فيه، وبيّنت مدى تعلّق الأندلسيّين بمجالسهم، وحرصهم على سماع أحاديثهم الوعظيّة وتوجيهاتهم الدّينيّة، وكشفت من جهة أخرى عن استغلال فئة من المجتمع للوعظ الدّينيّ بغيةَ تحقيق مآرب شخصيّة.

كما تناولت مقامات السّرقسطيّ عددًا من الموضوعات الاجتماعيّة المتنوّعة: الوجدانيّة والوعظيّة والفكاهيّة والأدبيّة والنّقديّة وغير ذلك من موضوعات، وتعرّضت إلى العلاقات الاجتماعيّة بين الأفراد والتناقضات في سلوكاتهم[19].

الخاتمة:

من خلال ما تمّ عرضه وبيانه توصّلت الدّراسة إلى العديد من النّتائج، من أهمّها ما يلي:

1. صوّرت المقامات اللزوميّة للسرقسطيّ جوانب مختلفة للمجتمع الأندلسي، وعالجت الكثير من القضايا الاجتماعيّة والأحداث في ذلك العصر، ومن أبرزها الطبقيّة الاجتماعية التي ظهرت من خلال طبقتين مختلفتين إحداهما مترفة في اللهو والمجون، والأخرى تعاني كسب العيش.
2. ظهر عنصر الكُديَة في مقامات الأندلسيّين جَلِيًّا، وبصور مختلفة ومتنوّعة ومتغيّرة ومتعدّدة ومبتكرة، وهذا يصور الاحتيال والدجل الطبي، والحيل المختلفة في البيع والشراء.
3. ظهرت أيضًا المرأة بصور مختلفة منها المرأة المحبوبة الّتي يعشقها الرّجل ويبكي للوقوف على الأطلال من أجلها، وكذلك المرأة المخادعة الّتي تبتغي الحصول على المال، والمرأة الّتي تساعد الرّجل في الحيل والخداع، بأن توافق على أن تُباع ثمّ تظهر على أنها زوجة للرّجل البائع، بوصف ذلك وسيلة للمكر والخداع.
4. حضرت الموعظة في كثير من المقامات، ومثّلت إطارًا عامًّا استعانت به المقامات الأندلسيّة في أغراضها المتنوّعة وأنواعها المختلفة.
5. بيّنت المقامات تنوّع الملابس والحلى والزّينة بتنوّع الطّبقات الاجتماعيّة؛ فكلّما كانت الطبقة الاجتماعيّة أعلى كذلك تعلو ملابسها وزينتها، والعكس مع الطّبقة الفقيرة الّتي لا تجد الطّعام والشّراب، وتخادع وتحتال من أجل الحصول عليه، من جهة أخرى كانت النّظرة إلى أهل البربر أنّهم أقلّ في المنزلة، والملابس، والطّعام، والشّراب.
6. وبرزت في المقامات ظاهرة الدّعوة إلى الزّهد والابتعاد عن الدّنيا وذكر الموت، لأنّها دعوى طبيعيّة في مقابلة اللّهو والمجون من جهة، ومن جهة أخرى يُعدّ الزّهد هروبًا من واقع الحياة المؤلم الّذي كان سائدًا في تلك الفترة.
7. ظهرت كذلك صفات القاضي الفاسد والظّالم المرتشي، والزّاهد الّذي يلبس قناع التقوى وهو منها براء، وكذلك المتردّد في التّوبة، وكلّ ذلك يكشف صورة الفساد الّتي كانت موجودة في المجتمع الّذي تُعبّر عنه المقامات.
8. تدور أحداث أكثر المقامات حول أعمال الاحتيال المتنوّعة الّتي يقوم بها البطل، وحول مهارته في التّخلّص من كلّ موقف صعب يضع نفسه فيه.
9. برزت صور الحياة الاجتماعيّة المختلفة واضحةً، وفي ذلك تعبير عن موقف أصحاب المقامات من واقعهم الاجتماعيّ، وتأكيدٌ بأنّهم لم يقفوا صامتين إزاء ما يعتور مجتمعاتهم من خلل، وما يحدق بها من أخطار. وكان صاحب المقامة يُلبِسُ لكلّ حالة ثوبًا يُصوّر فيه أعمال المكديّ وحيله في أشكال مختلفة ومتنوّعة وفي رسوم متباينة.
10. احتوت المقامات على كثير من الشعر، وهذا يؤكّد ما بين المقامة والقصيدة من وشائج وعلاقات. ففي المقامة أبيات أو مقطوعات، شاركت في بنيتها وأفادت في تحقيق غرضها.
11. شهد كثير من الباحثين والدّارسين أنّ فنّ المقامات عند السّرقسطيّ كغيره من الفنون الأخرى لم يولد من فراغ، بل خاض مرحلة تمثُّل ومحاكاة، ثمّ تجاوزها إلى المعارضة والإبداع؛ فطفت على صفحة هذا الفنّ في المرحلة الأولى آثار الحياة الاجتماعيّة في العصور السابقة وعصور كُتّابه، واكتسب لفظ المقامة سمة أدبيّة مازجتها دلالة اجتماعية أشارت إلى موجبات ظهور المقامة في الأندلس.
12. يُمكن القول إنّ السّرقسطيّ في مقاماته اللّزوميّة صدر عن إحساس عميق بمشكلات عصره، واختار ما يمكنه التّأثير عليه في المظاهر الاجتماعيّة لمجتمعه. ولا يُفهم من ذلك أنّ مقاماته نسخة مطابقة للواقع، بل هي محاولة جادّة لتجسيد الواقع الاجتماعيّ في صورة فنيّة تقوم على نظام العرض القصصي الناقد له، في ظلّ ما سمحت به الحريّة الأدبية آنذاك. فكشفت تلك المقامات بجلاء مظاهر المجتمع وما يعانيه، وبيّنت اختلاف طبقاته، وأظهرت صورة المرأة فيه بجلاء على أنّها وسيلة للعشق والمجون، وبيّنت أنّ اللّباس يختلف باختلاف الطّبقات، وكذلك الحال بالنّسبة للطّعام والشّراب.

بيان عند تضارب المصالح

يشهد المؤلفين أنه ليس لديهم أي انتماءات أو مشاركة في أي منظمة أو كيان لديه أي أموال لفوائد (مثل الأتعاب؛ والمنهج التعليمية؛ أو غيرها من حقوق الملكية؛ وشهادة الخبراء أو ترخيص براءات الاختراع)، أو المصلحة غير المالية (مثل العلاقات الشخصية أو المهنية، أو الانتماءات، أو المعرفة أو المعتقدات) في الموضوع، أو المواد التي تمت مناقشتها في هذه الدراسة.

اعتراف: نوال عبد الرحمن الشوابكة

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

المصادر والمراجع:

[1] مبارك. زكي. النثر الفني في القرن الرابع. (ط1). مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصرج1، ص197. (د. ت).

[2] ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. التكملة لكتاب الصلة. (ط 1). مطبعة الجزائر، الجزائر. ج1.ص16، وج2 ص732. (1919).

[3] ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، دار صادر، بيروت. ج 12، ص 229. (2003).

[4] البستاني. بطرس. أدباء العرب في الأعصر العباسية. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر. ص303. (د. ت).

[5] فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية: الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار العلم للملايين، بيروت. ص412-415. (1985).

[6] الزركليّ، خير الدين. الأعلام. (ط1). دار العلم للملايين، بيروت. ج7، ص149. (2002).

[7] السرقسطي، محمد بن يوسف. المقامات اللزومية. تحقيق دكتور حسن الوراكلي.. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. إربد الأردن. ط 2، (2006).

[8] الفريحات، عمر. توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي. رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم التربوية، جامعة فيلادلفيا، الأردن. ص 16— 17. (2019).

[9] الحسيني. قصي عدنان. فن المقامات بالأندلس نشأته وتطوره وسماته. (ط 1). دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان. ص278. (1979).

[10] الرشيدي، مسلم. صورة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المقامات الأندلسية، مقامات لسان الدين بن الخطيب والسرقسطي نموذجًا، جامعة الأمير سلطان، الرياض-المملكة العربية السعودية. ص4 و8. (د.ت).

[11] عباس، إحسان. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت. ص318. (1985).

[12] عوض، يوسف. فن المقامة بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت. ص13و271. (1979).

[13] حسن. محمد. صورة المجتمع الأندلسي في المقامات اللزومية للسرقسطي. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا. ص54. (2019).

[14] هدارة، مصطفى. (1970) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. دار المعارف، مصر. ص324. (1970).

[15] ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي عصر الطوائف والمرابطين. دار المعارف، مصر. ط 2، ص 222. (د.ت).

[16] فرّاج، أحمد. الثقافة والعولمة صراع الهويّات والتحديات. الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتاب أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم غرب ووسط الدّلتا، مصر. ص 96. (2003).

[17] ربابعة، موسى. النقد العربيّ والوظيفة الاجتماعيّة للشعر، مكتبة المتنبي، الدّمام. ص15, (2003).

[18] حمدان، عبد الرحيم. أدب الزهد في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس. القاهرة. ص278. (1998).

[19] ابن بسام، أبو الحسن علي. الذخيرة في محاسب أهل الجزيرة. تحقيق إحسان عباس. الدار العربية للكتاب. تونس. ط1، ص166. (1978).

© 2023 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.